مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 592 - 605

رت م د :2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

البعد الاجتماعي في المنجزات الابداعية لدى حنا مينا

The social dimension in the creative achivements of hanna mina

خيرة مسلم

جامعة مولاي الطاهر، سعيدة (الجزائر)، kheiracritique20@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/10 **تاريخ القبول:** 2022/04/23 **تاريخ النشر:** 2022/05/05

ملخص:

يستوقفنا "حنا مينا" في معظم رواياته عند القضايا الكبرى التي تقترب من الإنسان وإنسانيته، وواقعيته ونضاله، وشقائه وتعاسته وتمرده أيضا من أجل إثبات وجوده.

تعرض البحث إلى صورة البحر وبأنه ليس مجرد مكون طبيعي، بل هو يتجاوز ذلك إلى مصدر إلهام بل ومصدر للحياة والموت معا، وإنّ حضور المرأة في كتاباته دليل على عمق تأثيرها على المجتمع، وقدرتها على بلورة مفاهيم البطولة والكفاح، وكانت قضيته الكبرى قضية النضال والكفاح ضد المستعمر الفرنسي، فقدم لنا صورة سامية عن بطولة المواطن السوري والمواطن العربي بشكل عام ضد الاحتلال الصهيوني، الذي قاده للتعرض إلى السجون السياسية أو العادية القاسية والمنتهكة لحقوق الإنسان.

وعليه، كان الهدف من هذه الورقة البحثية هو تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي انطلاقا من مرجعية ووعي الأديب حنا مينا، لذلك كان لابدّ من استحضار واقتفاء المنهج الوصفي التحليلي لوصف القضايا المحورية وتحليلها وفق منظور اجتماعي وأدبي.

كلمات مفتاحية: البحر - المرأة- الوطن- السجن- النضال.

Abstract :

In most of his novel, the writer hanna mina places us on major issues that aproache man and his humanity, realism,his strugle, hismisery and his rebellion in order to prove his existance.

In this research we wer exposed to the image of the sea according to hanna mina, and that it is not just a natural component, but rather it is a source of inspiration and a source for life and death together.the presence of women in his writing isi vidence of the depth of her influence on society and herability to show the concept of heroisme and struggle.

His major issue was the issue of the struggle against the french colonizer, so he presented us with a sublime image of the heroisme of the syrien and arabic citizen in general against the zionist occupation ,which led him to besubjected to harsh political or ordinary prisons and contribute to human rights.

Accordingly; the aim of this research was to show the social reality from the point of view of the writer hanna mina. Therefore, It was necessary to follow the desciptive analytical aproach to describe the central issues and analyse them according to a social and litterary prespective.

Keywords: the sea-women-motherland-prison-struggle.

مقدمة:

كانت الكتابة عند **حنا مينا** "الخلاص"، فشحَنته بروح المواجهة والانتصار على ظلمة البحر وظلمة السجن والمنفى وظلمة الحياة.

لقد خاض حنا مينا تجربة الكتابة الروائية بكل حرية، ولم يلتزم بمفهومها ونظرياتها وقوانينها،إذ لم يكن له مفهوم خاص ومحدد للرواية، فلم تكن هذه التقنيات مقاسات يفصل عليه رواياته، بل هو يذهب الى أبعد من ذلك عندما يلبس شخصيته رداء الواقعية المفرطة، بذلك فقد ابتعد عن نسج الخيال، وصارت شخصيته من دمٍ ولحمٍ لها واقعها ويومياتها وتفصيلاتها.

وعند هذا الطرح، انشغل "**حنا مينا**" بقضايا البحر وكيف أنه كان رزقا للبحارة وتمكينا لهم من الحياة، كما كان مصدرا خطر وموت بالنسبة إليهم، وكانت قضية المرأة أيضا محورية في كتاباته فكانت أما وزوجةً و أختًا وفلاحةً وهي الرمز للأمل ولحياة أفضل، **فكيف عالج حنا مينا هذا الواقع وهذه الشخصية بالذات؟ كيف انتصر الإنسان حتى وهو في المنفى وفي السجن؟ فيما تمثلت صور النضال والكفاح لديه؟**

1. تلازم المرأة والبحر عند حنا مينا:

لقد سعى حنا مينا في رحلة الكتابة هذه إلى المزاوجة بين المرأة والبحر وهوما أسال حبر عديد النقاد، إذ إنّ فرضية التلازم هذه كانت بمثابة لوحة فنية، نحتها الروائي حنا مينا أجمل نحت، فجاءت معظم روايته منصبه بمياه البحر وبطفولية المرأة أحيانا وقوّتها أحيانا أخرى، فكانت المحرك الأبدي لإصداراته انطلاقًا من الأنثى أمّه إلى آخر امرأة خاطئة "كنجوى" الضحية.

فأصدر أحد النقاد قائلا: " ما إن تجري استعادة الروائي السوري حنا مينة (1924-2018) الّذي رحل عن عالمنا...إلاّ وألحق به توصيف رائد أدب البحر عربيا، وهو توصيف اختزالي بالرغم من أنّه ينطبق إلى حدّ ما على أدبه، وربما كان تكريس هذا العنوان كاشفا لمناخ التقبّل الأدبي في العالم العربي الّذي يستريح لمقولة ما فلا يغادرها إلاّ نادرا "(الجميل، 2018)

1.1. واقع المرأة الاجتماعي عند حنا مينا:

لقد صورحنا مينا المرأة انطلاقا من المفاهيم الايدولوجية التي كانت سائدة في مجتمعه، باعتبارها أداةً وموضوعًا مستخدماً عند الرجل سواء كان أبًا أو زوجًا أو أخا، مثلما تمثل الأم في رواية

بقايا صور المرأة المتدينة الصبورة التي لا هدف لها سوى أولادها "نموذجا للخضوع والرضوخ لإرادة الرجل وسيطرته حيث تُضرب وتُهان دون أن تبدي إشارة، احتجاج أو تمرد. (كاسوحة،1991، ص.26).

وعند هذا الطرح، فقد تباينت صورة المرأة في روابط حنا مينا و تعدد حضورها واختلفت طبقاتها "إنها كائن خفي باستمرار لأنّها تحتضن التغيير أكثر من الرجل، وهي وحدها تصنع التقدم الاجتماعي، وحين تتعلم المرأة وتعمل فإنها تصنع المعجزات".(النوايسية، 2005، ص.41).

ويصنع الروائي قالبا جميلا ومهما للمرأة عبر كتاباته، إذ هي ليست هامشية بالنسبة إليه ولا ثانوية بل حضورها من حضور الرجل وهي قادرة على صنع ما لا يستطيعه الرجل" صانعة هذا التقدم في ممارستها السلوكية التي تملك الجرأة للخروج على المألوف...إن المرأة أكثر من حبيبة ورفيقة وزوجة وأخت إنها ملهمة، وشريكة كفاح وهي أم على كتفها نضع كل أتعابنا وعلى صدرها نستريح" (النوايسية،2005، ص.43)

2.1. بعض أقوال حنا مينا عن المرأة:

- كل أم، كل أخت، وكل بنت في هذا الوطن هي أمنا وأختنا وبنتنا جميعا. (مينا، 1992، ص.12)
- إن أكثرنا تطلبا للحب، أكثرنا تطلبا للأمن واكثرنا حاجه للمرأة، أكثرنا خوفا من فقدانها. (مينا، 1992، ص.13)
- يأتي الحب دائما رابطا انسانيا فيه كل الاحترام للمرأة وكلّ التجلي لنبل الصفات فيها، وأقول للذين يزعمون غير ذلك، لم يقرؤا كتبي. (مينا، 1992، ص.14)

3.1. تعددية صورة المرأة عند حنا مينا:

صوب هذا الحد من إبراز المكانة التي خصصها حنا مينا للمرأة، فإنه يراوح هذه المكانة بين الجمال والقبح أو الطيبة والسوء، وبذا تكون صورة المرأة مفتوحة على صورتين اثنين: "إنّ تناقضا واضحا يبدو في تغليب الرؤية الفكرية على حركة الشخصيات الفنية، الأمر الذي جعل الشخصيات تفتقر إلى حد كبير إلى الانسانية في النموّ وتستمر بمنطق التضاد والتقابل، منطق الملائكة والشياطين، والأخيار والأشرار والبياض والسواد".(السعافين، 1996،ص.163)

إن حضور المرأة في الأدب في كل الازمنة قديمها وحديثها، هو أمر لا يمكن اقصاؤه أبدا، اذ هو واسع وشاسع، بدءًا بقصائد الشعر عند العرب قديما وصولا إلى الرواية عند العرب حديثا، فقضية المرأة قد أسالت الكثير من حبر الكتاب والنقاد، إلا أنّ طريقة التعاطي مع القضية تختلف من أسلوب لآخر" التقدير يختلف من حيث أسلوب معالجته في الأعمال الفنية، هذا لا يتحقق إلاّ من خلال الشكل الفني وفاعلية توصيله، فالأديب يواجه مهمة الابداع الفني وهو يدرك أن شخوصه ذكورا وإناثا ينبغي أن يمتاز بخصائص إنسانية تحقق واقعية السلوك الإنساني وطبيعة التناقضات الجوهرية في المواقف المختلفة" (السعافين، 1996، ص.138).

أمام هذا الطرح، فإنّ حنا مينا قد رسم شخص المرأة انطلاقاً من واقع حياتها، وذلك بالرجوع إلى ظروفها المعاشة، الاجتماعية منها والعرفية " تحتلّ المرأة حيّزا كبيرا في معظم أعمال حنا مينا القصصيّة الطويلة والقصيرة ...بل لأنّ الكاتب الروائي أعطى للمرأة هنا دورا إيجابيا عظيما في ترويض هذه الشخصيّة الهمجيّة شبه الحيوانيّة، ونقلها من عالم الأنانيّة الفرديّة، الضيّق القاسي والفج إلى عالم العاطفة والحب والمشاعر الروحيّة الرحيبة السامية ممّا يعيد لنا أصداء ملحمة جلجامش و أثر المرأة في تحويل أنكيدو من غول غابي إلى إنسان محب" (طلال، 2013).

2. حضور البحر في كتابات حنا مينا:

حنا مينا هو فلتة زمانة في الرواية العربية، فكان متميزا، ذواقا، عارفا بالحياة وعميقا عمقها، وكثيرا ما ألهمه البحر بسلطانه مثلما ألهمته المرأة بشخصيتها.

1.2. اللجة الزرقاء وملح الشقاء:

إن البحر كان دائما مصدر الهامي حتى إن معظم أعمالي مبللة بمياه موجه الصاخب، لحمي سمك البحر، دمي ماؤه المالح، صراعي مع القروش كان صراع حياة، أمّا العواصف فقد نقشت وشما على جلدي، لا أدَّعي الفروسية، المغامرة نعم، أجدادي بحارة، هذه مهنتهم، الابن يتعلم حرفه أهله، احترفت العمل في الميناء كحمال، وكنت كذلك بحارا ورأيت الموت في اللجة الزرقاء ولم أَهبْه لأن الموت جبان ...كان ملح الشقاء، وملح التجارب وملح العذاب جسديا وروحيا. (مينا، 2006، ص.10)

أراد الكاتب -وببراعته الفنية المعهودة-أن يثبت ذاته وسط أمواج البحر الذي يعشقه ولا يهابه، رغم العواصف- على حد قوله -الناس يموتون في البر ما أكثر مما يموتون في البحر، وبدا فإن البحر يمتزج بكتابات حنا مينا و يخترق رواياته وشخصياته، سواء بالصورة الحسنة أو عن طريق الإيحاء

والرمز، ومن هنا جاء ما يسمى "بأدب البحر"، وهذا ما يتجلى في أحد مقاطع رواية حكاية بحار، ويصرخ سعيد بغير صوت آه،" ذاكرًا رقابته على رأس الصارية في ساعات الليل الطويلة، وفي ضوء القمر الغامر والدنيا تحته ماء ومن فوقه زرقة مرصعة بالنجوم ومن حواليه سكينة، ومن الجهات الأربع فضاء لا يحدّ...إن جميع الأرواح تناضل للخلاص من أسرها، للانعتاق من أثر المادة على هيوليتها"، إلا روح البحر، فهي تشدّ أسرها، تستعذب عبوديتها وتعطي نفسها للافتنان المجنون بعروس وهمية تطلع كماريا من البحر.(مينا،1981، ص.ص.89،90).

كان حنا مينا يبرز تعلّقه بالبحر حتى وهو يحاول الخلاص من الأسر، مثله في ذلك مثل جميع البحارة إلاّ خلاصه من البحر، بل يتمنى أن يبقى أسيرًا لروح البحر الذي استعذبه واستَعْبَدَه.

وقد جعل الروائي **حنا مينا** ابطالا وشخصيات تخوض في البحر، فتبحر وتبرز عبقريتها وعمقها واحاسيسها، وها هي شخصية الطروسي في "الشراع والعاصفة" شخصية بطلة تملك مبادئ وقيم، شخصية واعية ما تريد، بل هي شخصية واثقة... حتى في غمار البحر" الطروسي لا يتراجع، لا يهرب...لا يخش البلل، حتى تأتيه الموجة يكتفي بالقفز من مكانه... ليتابع لعبته بعنف أشر"(مينا، 2006، ص.12)

فالشخصية كائن بشري من لحم و من دم تعيش في مكان وزمان معينين ويرى آخرون بأنها هيكل أجوف ووعاء مفرغ يكتسب مدلوله من البناء القصصي فهو الذي يمده بهويته.(زعرب، 2006، ص.117).

2.2. تقاطعات في الرواية أم تقاطعات في الحياة؟

صوب هذا الحد، أكثر ما يلفت الانتباه هو تقاطع **مينا مع** (ERNEST Hemingway) أثناء اشتغالهما بالبحر و بأمواج البحر وأسراره، كلاهما عاش طفولة معذبة، إلاَّ سبب العذاب اختلف، حيث أراد والدا (Hemingway) النجاح لابنهما فوضعا له خطة نجاح حرمته من طفولته ومن براءته، أما مينا فعانى من ويلات الفقر المدقع والحرمان القاسي والظلم والاضطهاد حيث سئل مرة: من أي جامعة تخرجت؟ فردَّ: من جامعة الفقر الأسود.

ضف إلى ذلك معايشتهما للحرب العالمية ما اكسبهما براعة فنية وسردا متميزا أثناء تصوير الواقع ووصف الأشياء حتى أنها أضافت سوداوية على أدبهما ،إلا أن المفارقة كانت وتجلت في كون البحر بالنسبة لهمنغواي (Hemingway) موضوعا قائما بذاته اشتغل عليه مشكِّلا بذلك تيمة لرواية "العجوز والبحر"، أما البحر بالنسبة لحنا مينا فكان قيمة للحياة كلها وموضوعا لأدبه ورواياته كلها "كثير ما أطلق النقد الصحفي لقب همنغواي (Hemingway) الرواية العربية على الروائي حنا مينا... غير أن قبول هذا اللقب ينطوي على تسرّع كبير، لأن البحر لم يشكل بالنسبة لأرنست همنغواي (ERNEST) Hemingway ما شكله لمينا، فإذا كان ذلك الازرق موضوع رواية نالت شهرة واسعة من روايات همنغواي (Hemingway) هي "الشيخ والبحر"، فإنه شكل موضوعًا واطارًا وخلفية لكثير من روايات حنا مينا، يبحر فيه البحارة ويعودون ويموتون ويعيشون ويهربون السلاح للمناضلين ضد الاستعمار، وعلى شواطئه يبني الاطفال قصور الرمل ويهدمونها، وتلطم النساء رجالهن الذين لم يعودوا؛ إنه عنده "موضوع حياة" وليس "موضوع رواية" كما هو الشأن بالنسبة **لهمنغواي** (Hemingway)**"** (حطيني، 2020).

وأمام هذا الطرح، فإن البحر كان موضوعا رئيسيا بالنسبة لحنا مينا طوال حياته، وقد رسخت كتاباته في الذاكرة الأدبية الجمعية لأنه عرف بأسلوبه المتميز كيف ينفذ لأحاسيس الإنسان وعواطفه، وعرف كيف يغازل آلامه و آماله، ضف إلى ذلك اسهامات السينما وما أنتجته من مسلسلات تلفزيونية ناجحة لاقت صيتًا واسعا" ولع حنا مينا بالبحر، وانقطاعه الى هذا العالم الغامض الذي يحتاج الى مئات وربما آلاف الروايات لكنّنا نحن العرب لم نكتب إلاّ النزر اليسير من الروايات التي تتخذ من البحر مركزا للأحداث الا باستثناءات قليلة **وحنا مينا** هو واحد من هذه الاستثناءات القليلة المبهرة".(عدنان، 2018)

وهكذا ظل الأزرق يمثل موضوعا ملهما بالنسبة للعرب منذ الجاهلية مع طرفة بن العبد وامرؤ القيس الى حكايات الف ليلة وليلة، وصولا إلى الكتابات المعاصرة، كما ظلَّ موضوعا ملهما للغرب مثل أعمال أرنست همنغواي (ERNEST Hemingway)، وفكتور هيغو (VECTOR hugo)، وحتى الشعر في ديوان "أوراق العشب" للشاعر الأمريكي والت ويتمان (WALT Whitman) وغيرهم.

إلا أن البحر قد أخذ حصّة الأسد عند حنا مينا، فاتخذه مأْوىً وملجأ وملاذًا، كان ميزته الروائية وعالمه المتفرد "لا يستقيم السّرد ولا يتجلّى مفهومه إلاّ بتوافر عنصر المكان لأنّ كلّ بداية ونهاية

تقع في مكان ما، فلا إبداع في غياب المكان ولا يمكن الاستغناء عن هذا العامل في النص الأدبي بخاصة الروائي منه، لأنّه يشكّل سلسلة من الأحداث تحرّكها شخصيات في زمن معيّن، فهو ذروة العمل الروائي وعمود الزّمن، وقد اشتملت حكاية بحّار على فضاءات مكانيّة عديدة لكن الفضاء المكاني الغالب والمهيمن هو البحر، ولأنّ دراسة المكان لا تنفصل عن العناصر الأخرى الحكائيّة كالشخصيّات والزمن إلى جانب المكان، محرّك محوري للأحداث وخصائص هذا الفضاء المكاني (البحر) بالنسبة للبحار (سعيد)" (عشّة، 2011، ص.848).

3..طبول الحرب تقرع... في أدب حنا مينا:

يبدو أن **حنا مينا** قد عانا كثيرا من ويلات الحرب، فكان مكافحًا ومناضلاً من أجل سوريا أيام الاحتلال الفرنسي، فصوّر معاناة الناس في اللاذقية ،والاستغلال الذي نتج عن هذه الحرب، فانخرطوا فيما يسمى بالسّوق السوداء وهذا ما جسده في رواية "المصابيح الزرق" وحتى في روايات أخرى. لقد صور مواقف عديدة عن نضاله ضد فرنسا "وكم شكل نقابات وأقام مظاهرات يطالب فيها الحرية والاستقلال لبلده وقد دعى الى أنّ النضال المؤطر بوعي منظّم هو الذي سيقود الوطن الى المستقبل المشرق"(مينا، 1973، ص.18) ونستطيع القول أن مينا قد أرّخ لكفاح العمال ضد فرنسا الى بداية الحرب العالمية الثانية وذلك في السيرة الذاتية التي قدمها للقارئ من ثلاثة روايات "بقايا صور"، "المستنقع" و"القطاف" وقد حشر هذا النظام على أرض الواقع داخل بلده وحتى خارجه، ودخل السجون وذاق طعم المنفى من بكين الى المجر.

وبذا، فإن حنا مينا عاش النضال وعاشته شخصياته وأبطاله "مناضل حقيقي لم يكتب عن النضال إلا بعد أن عاشه واكتوى بلَفْحِ نارِ الهاجرة، فهو لا يتفق مع من يطرح أسبقية الكتابة الأدبية على التجربة، فالتجربة أولا ثم الكتابة ثانيًا وهذا ما تعلمه من صديقه الشاعر الثائر "ناظم حكمت" (مينا،1971،ص.60). وحتى في روايته "حكاية بحار" التي كانت في معظمها يوميات وتفاصيل شخصيات بين البر والبحر، لم يفتأ أن تطرق إلى النضال والسياسة والحرب والمقاومة " وكنت تعرف أن عليك أن تواجه كل الصعوبات؟"تقريبا" وتنتظر كل هذه الأيام حتى تتألّف النقابة؟ "نعم... نعم" "يا لك من رجل صبورا!" "اصبر على ماذا؟""على هذا الوقت الطويل طبعًا" "هذا لا شيء...هذه هي الحياة، وما نفعها إذا كانت بغير نضال؟ ومن يبدّلنا حالاً بحال إذا لم نناضل؟ وكيف كنا نستطيع إخراج فرنسا؟...(مينا، 1981، ص.ص.78.77) ويضيف أيضا ما نفع أن يناضل العامِل لأجل حقوقه في المعمل

وينسى حقوقه في الوطن؟"... فكر العامل وقال: " لا أدري... إذا لم يكن الوطن بخير فلن يكون الوضع في الريجي بخير... المهم أن يتحرر الوطن وأن يتقدم"(مينا، 1981، ص.79).

وأمام هذا الطرح، فإن الوضع الاجتماعي الذي ساد المنطقة العربية بعد نكبة حزيران، كان وضعا مقلقا، وهو ما جعل كتابات الأدباء والمفكرين تصبغها صبغة السّواد واليأس والاحباط وذلك ما تجلّى في مواقفهم ورؤيتهم للواقع عبر شخصياتهم وأبطالهم الروائية، أما حنا مينا فقد كان موقفه موقف الرجل القويّ اذ لم يتوان عن الحث على مواصلة النضال.

كما كانت له مواقف قوية ضد الكيان الصهيوني وذلك في مؤلف مشترك مع نجاح العطار بعنوان "أدب الحرب"، إذ كانا يتصوران أن اطلاق الكلمة والرأي أيضا هي تماما كإطلاق قذيفة من مدفع ما، شأنه في ذلك شأن الأديب غسان كنفاني وسميح القاسم ومحمود درويش، إذْ إن هناك انجذاب لعمله "الشمس في يوم غائم" فقارئها يشعر أنه أقرب الى الروائي، فهو يعزف على وتر الواقع ونبض الحياة اليومية التي يعيشها الفرد في مجتمعه.

وبذا كان حنا مينا، قد بلغ ذروة أدب النضال والمقاومة من خلال روايته **المرصد** حين جمع بين التفكير السياسي والأدبي والسرد المعمّق، تحدّث الروائي عن الحرب وعن المقاتلين وأحاسيسهم وتوقهم للانتصارات وشحنهم بروح المغامرة والبطولة، وطبعا هذا امر لا يتأتى إلّا لرجل عايش الحرب وعايش ظروفها وتفاصيلها.

وقد طغت الواقعية على روايات حنا مينا، فكان بناء شخصياته ينبض بالحياة... "فالرواية تعبر عن واقع متعدد المسوخ والستارات المركبة من الزيف والوهم والحقائق المدمرة وعن عالم انسحقت فيه نفسية الكائن حتى باتت مشوهة تفرز أمراضا متعددة... وسط حروب وخيانات وفقر وتخلّف وجهل في هذا الحقل المخصّب بالفقد وتناسل وجوه المسخ ترعرعت الرواية العربية".(خليفي، 2018، ص.7).

ووفق هذا المقترح، فإن الرواية العربية تولد من داخل هذا الواقع وهي الجنس الأدبي الأكثر استيعابا للمتغيرات الحياتية ومن ثمة فهي تكتسب شرعيتها باعتبارها اللحظة المسروقة، فتحاول جاهدة احتواء المتغيرات الطارئة والمستعجلة من الواقع" كما تستمد شرعيتها من كونها شكلا لا نهائيا

قابلا للاكتمال والتجدد، ومفتوحًا على مجموع الأشكال التعبيرية ببنية غير ثابتة، تسعى الى التقاط التحولات الخارجية والداخلية للكائن البشري ومفتوحة على كافة الاحتمالات"(Caillos, 1976, p.21).

وعند هذا الحد، يعد حنا مينا من أهم الكتاب الذين أدانوا الاحتلال والظلم بمختلف أشكاله، فتصدوا للنازية والصهيونية، وحنا مينا قد جمع بين النضالين السياسي والاجتماعي وتجرأ على صور القهر والحرمان.

1.3. حنا مينا و السجن ... و المنفى:

اليوم الخامس من الاضراب عن الطعام

- رفاقي
- اذا لم أستطع أن أعبر لكم بوضوح.
- عما أريد ان أقوله، فلتغفروا لي، يا رفاقي.
- لأنني ثمل، وأشعر بدوار خفيف،
- لا من أثر الخمر،
- ولكن من أثر الجوع.

...

- رفاقي !
- في أوروبا وآسيا وأمريكا.
- أنا لست مضربا عن الطعام في حجرة السجن.
- ولكنني مستلق على العشب في هذه الليلة من نيسان.
- وعيونكم تتلامع فوقي مثل النجوم،
- وتصافح ايديكم جميعا قبضتي، مثل يد واحدة
- مثل يد أمي.
- مثل يدي حبيبتي.
- مثل يدي محمّد. (مينا، 2000، ص.301).

أمام هذا المسلك، معلوم أن السجن هو مكان تسجن فيه الحرّيات والممارسات والتحركات اليومية، فهو عالم منغلق على نفسه مناقض تماما لعالم الحرية الذي هو انفتاح نحو العالم بكل ما فيه من جوانب الحياة والممارسات الحياتية الطبيعية، فيصف حنا مينا هذا السجن عبر شخصياته الروائية،" وكان السجناء يتعلقون بالنوافذ العالية... ويضعون وجوههم على قضبان الحديد وينظرون إلى بيت البنات الأحمر نظرة شرهة تومض بالشهوة والحسرة معا، فإذا خرجت بنت الى السطح صفروا لها أو لوّحوا بالمناديل مطلقين في اثرها كلمات داعرة، فتجيبهم البنت ...أو تهرب منهم الى الداخل"(مينا، 2006، ص.122).

وكذلك في رواية حكاية بحار يتحدث بطله عن النضال والسياسة والسجن لأجل قضيته العادلة حتى بعد أن خسر كل شيء لا يزال إصراره على تغيير الأمور قائلا:"أتساءل: يأتي يوم نتخلص فيه من الظلم، من الاضطهاد، من الاستغلال، من الفقر، من العدوان؟ إلام تستمر لعبة الكراسي والحكام؟، منذ أن وعيت الوجود وأولاد المدارس يتظاهرون والأحزاب تتكاثر والاجتماعات تعقد، ويقولون أشياء كثيرة، ولكن ماذا يجدي كل ذلك؟ متى تتحرر فلسطين ومتى يستعيد العرب حقوقهم وأراضيهم ؟ ومتى يتوقف نهب الأغنياء للفقراء، وتكف الأسعار عن الارتفاع ؟ بعد كل شيء، مواطن وأنا نفسي كنت تلميذًا وتظاهرت ضد فرنسا (مينا، 1981، ص. 74).

ويصف حنا مينا كيف أن السجن أصبح ملاذا محتوما لأبطاله بعد نضالهم ومقاومتهم من أجل استرجاع حقوقهم "وذات يوم أعلنوا الإضراب، وقف على رأس المضربين، تلقى التهديد بعدم اكتراث، تلقى الضرب بلا مبالاة، وحين هاجم رجال الشرطة المضربين اشتبك معهم في عراك، وسجن لأجل ذلك، وبعد السجن أصبح عاطلاً عن العمل، فراح يكتب العرائض ضد التسريح التعسُّفي، وضدّ إدارة الرّيجي... وأخيرًا انتصرنا، صارت لنا نقابة" (مينا،1981، ص.76).

وفي ضوء ما سبق فإن حنا مينا يلقّن أبطاله قناعة بالدفاع عن الحقوق في السجن أو الموت، فيدافعون عن حقوقهم حتى الموت "بعد كم من الأيام يتغير النظام كما تقول؟ فربَت على كتفي وقال "هذه مسألة طويلة... مسألة عمر... قد أموت ولا أراها، ولكن أولادي سيرونها، فإذا لم يروها رآها أولادهم ... المهم أن ذلك اليوم سيأتي ...إنَّنا، الآن ننتزع حقا بعد حق ... كان العامل في الماضي يعمل نصف عمره عند صاحب العمل، فإذا شاخ أو عجز، أو أقعده المرض، يَلْبِطه على قفاه، ويطرده دون حق، دون تعويض، اليوم تغيرت الحال، صار العامل يأخذ تعويضًا، وصار يعمل ساعات

محددة في اليوم وصارت له أيام عطل مدفوعة الأجر، وله حق التداوي، وكل هذا بفضل نضال العمال، بفضل تضحياتهم، بفضل موتهم أيضا، لقد مات كثير من المناضلين حتى وصلنا الى هنا وسيموت كثيرون ويسجن كثيرون، ويتشرد كثيرون، حتى نصل إلى كامل حقوقنا" (مينا، 1981،ص.77).

كما مثل السجن أحيانا مدرسة وحياة لبعض أبطال حنا مينا حيث تعلم مفيد في "نهاية رجل شجاع "القراءة بداخلها، بل القراءة والكتابة وتعلم كيف يكون رجلًا.

إن قضية السجن والسجين هي قضية قد وجدت فضاءا كبيرًا في الرواية العربية، حيث أبدع الروائي وهو يصف المكان وظروفه وتصوير معاناة السجين النفسية والجسدية، وطبعا هذا ما سلكه الروائي حنا مينا اذ أنّه تقيد بهندسة البناء الفني والتشكيل المعماري، وبذلك فقد تميز في التوصيف الروائي لهذا المكان وكيف تنهزم الأحاسيس والأمنيات بين جدرانه "يعد المكان أحد الركائز الأساسية للرواية لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو أنه المكان الذي تجري فيه وتدور الحوادث وتتحرك من خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه وتعبر عن وجهة نظرها ويكون هو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية والحامل لرؤية البطل والممثل المنظور المؤلف"(محبك، 2001، ص.147).

فالسجن هو المكان المغلق الاجباري من مكان محدد المساحة ويتصف بالضيق وهو فضاء طارئ ومفارق للمعتاد. (الفيصل، 1994،ص.60).

ضمن هذا الإطار المغلق، نسج **حنا مينا** ثلاثيته **حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد**، حيث رسم خيوط السجن السياسي وهو السجن الذي يختلف عن العادي "هو ذو طبيعة خاصة تختلف عن طبيعة السجن العادي في المراحل التي يمر بها السجين وفي الصور التي تطالعه في الآثار السلبية الجسدية والنفسية التي تصيبه فيه." (الفيصل، 1994، ص.31).

هذا ما يؤدي بنا إلى الاقتراب من خصوصية السجن السياسي لدى حنا مينا، في هذه الثلاثية "خصوصية مختلفة عن بقية السجون السياسية الاخرى في أي مكان آخر نظرا لظروف الاحتلال التي

عانى منها الشعب السوري من قبل تركيا وفرنسا، ومن ثم تواطؤ فرنسا مع تركيا وسلخ لواء اسكندرونة عن الوطن الأم سورية وتشريد السكان من أرضهم" (عبيدي، 2014، ص.78).

والجدير بالذكر أن المغتصب الفرنسي والتركي لم يكن يرغب في اصلاح المجتمع بل أراد سجنا يكبح الرافضين له ولسلطته ولسيادته وقوانينه لذلك تجلى دمج السياسيين الذين تجدرت في نفوسهم روح المقاومة والتمرد "ارتكبت حماقة في الدخول الى مخزن مغلق، لا يحق لأبناء البلد أن يلِجوه عنوةً كما فعلت أنا فكيف بأجنبي، اذا اتّهم بالسرقة أو بما هو أخطر وألقي به في سجون مرعبة، بين أناس لا تعرف لغتهم وليس له بينهم شفيع" (مينا،1981، ص.123).

خاتمة:

لقد حاولت هذه الورقة البحثية تقديم أهم النقاط والقضايا التي شغلت بال حنا مينا وملأت أوراقه وأسالت حبر قلمه، فكانت هذه القضايا كالتالي:

- حضور البحر في كتاباته حيث يصاغ العالم الاجتماعي داخل السفن والمرافئ وصراع الإنسان داخل هذه الأمكنة والبحث عن الأسمى وتمجيد الإنسان، فالبحر هو رمز وواقع اجتماعي.
- حضور المرأة في كتاباته، حيث كانت رمزا للمقاومة وللأمل وللحياة، وما يلفت الانتباه هو تأثره بالأدب الروسي الذي ضمن للمرأة مكانة خاصة في المجتمع.
- حضور السياسة والنضال في كتاباته، أيام الانتداب الفرنسي، فأدانه كما أدان الحركة الصهيونية في فلسطين وفي الوطن العربي كمجتمع موحد.
- هو روائي انتصر للحب وللإنسان وللسلم، فكان يشحن شخصياته بالقلق الذي كان يتسرب منه باعتبار وجود قوى خفية محركة لذاته، على أساس أن الذات هي كائن متحرك تعيش داخل تكوين اجتماعي يتأثر دائما باللحظات المضطربة.
- من بين القضايا التي أبدع في تصويرها وتجسيدها في أدبه قضية السجن والسجين، لدرجة أنّه تمكن بطريقة أسلوبية وفنية راقية الولوج إلى التفاصيل الدقيقة المرتبطة بالسجين وواقعه وآلامه وطموحاته، وكذا تصويره الدقيق حتى للبناء المعماري الهندسي للسجن وحجراته التي وضعت بداخلها أبطاله.

- يمكن القول إن أهم الخصوصيات التي جعلت روايات حنا مينا ترتقي إلى هذه الجودة الأدبية المتعالية؛ هي حضور سيرته الذاتية وتوظيفها في نسج خيوط أعماله الإبداعية وفي رسم شخصياته وفي البناء الدرامي لمعظم رواياته.

وأخيرا نقول: أن أدب حنا مينا وقضاياه الاجتماعية الكبرى لا يمكن حصرها في صفحات معدودة، ومن هذا المنطلق؛ فإننا ندعوا الباحثين الذين يشتغلون في حقل الرواية أن تكون لهم مدارسات ومقاربات أخرى تنفض الغبار عن الكلام الذي لم يقل بعد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. مينا، حنا، (2006). الشراع والعاصفة، ط.1، بيروت، دار الآداب.
2. مينا، حنا، (1973). الشمس في يوم غائم، ط1، بيروت، دار الآداب.
3. مينا، حنا، (1971). ناظم حكمت وقضايا أدبية وفكرية، ط1، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
4. مينا، حنا، (2006). ناظم حكمت: السجن، المرأة، الحياة، ط2 ، بيروت، دار الآداب.
5. مينا، حنا، (1981). حكاية بحار، ط1، بيروت، دار الآداب.
6. كاسوحة، مراد، (1991). الرواية الايدولوجية والموروث الأدبي في أدب حنا مينا، ط 1، دمشق، دار الذاكرة.
7. السعافين، ابراهيم، (1996). محولات السرد، دراسات في الرواية العربية، ط1، عمان، دار الشروق للتوزيع .
8. صبحية، زعرب عودة، (2006). غسان كنعاني، ط1، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
9. عشّة، لبنى، (2021). شعريّة الفضاء في رواية حكاية بحار للروائي السوري حنا مينة ،فضاء البحر نموذجا. مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانيّة، قسنطينة (الجزائر)، *34* (3)، ص.ص. 838-870؛ رابط المجلّة https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/28/34/3/147543
10. وجدان أمحمداه، (2021)، صور النضال السياسي والإجتماعي، اتجاهاته في الرواية السورية– الروائي السوري حنا مينا- نموذجًا، مجلة مقامات، المركز الجامعي آفلو-الجزائر، *5* (2)، ص.ص.47-57، رابط المجلة https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/697/5/2/175877
11. حليفي، شعيب، (2018). شعرية الرواية الفانستكية، ط1، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف.
12. محبك، أحمد زياد، (2001). دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة، ط1، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة.
13. سمرروحي، الفيصل، (1994). السجن السياسي في الرواية العربية، جروس برس، لبنان.
14. مهدي، عبيدي، (2014)، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
15. حطيني، يوسف، (2020). من النسج والبحر إلى الشراع والعاصفة عالم وزارة الثقافة. Www.worldofculture2020.com (consulter le 2/01/2022)

16. حكمت النوايسة: (2005) المرأة والبحر في روايات حنا مينا، جذيّه البحث والتقصي صحيفة الرأي الثقافي https://alrai.com (consulter le 15/01/2022)
17. الجميل منصور، (2018). حنا مينا آخر تلويحة للبحر www.alaraby.co.uk(consulter le 08/04/2022)
18. طلال، مؤيد، (2013). المرأة في رواية الياطر www.eltaakhipress.com(consulter le 09/04/2022)
19. عدنان أحمد حسين (2018)حنا مينا، روائي البحر والصراع الطبقي، جريدة الشروق الأوسط الدولية، العدد 14512 https://aawsat.com(consulter le 06/04/2022)
20. Caillois Roger, (1965). Au cœur du fantastique, beaux livres, Gallimard.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):
خيرة مسلم. (2022). البعد الاجتماعي في المنجزات الابداعية لدى حنا مينا. مجلة *افاق فكرية*، سيدي بلعباس (الجزائر)، *10* (1)، ص ص 592-605 ؛ رابط المجلة
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396